

## يوميات فدائي في الارض المحتلة

يوميات فدائي .. .

الخميس في ١٩ تموز ١٩٧٠

حتى كانت سيارة الاسعاف قد ذهبت . ونحن على الدرجات ، جاء احدهم يهبط نحونا ، وهو يهمس : « تأخرتم » عرفت انه من جماعتنا . فقال سالم : « بعض الوقت » « لم يبدلوا جندي الحراسة على الثانية عشرة كالعادة » .. ولعت اسنائه على الرغم من كتمه لسروره : « من حظنا !! » وجاء الي ، اذ كنت من الاسفل بينهما نصحدهم الدرج ، والثقل كله ملقى علي . ساعدني في الحمل ، فخذف الصب قليلا . واخذنا نصعد بتؤدة حتى الطابق الثالث . وانا لاحظ انه لا يوجد هناك ممرضون ، ولا اي موظف ! دخلنا حجرة الرجل ، واقفلها بالمفتاح ، فنهض الرئيس على التو وراح يتزع عن وجهه الضماد ، واميرة تساعده ، وسالم يفك الرباط عن قدميه . كان الرجل قد وقف قرب النافذة ، رفع ستارها ، وقال لنا بصوت متحسب : « ذهب الشاهد ، اتت سيارة عسكرية ، ركبها جندي الحراسة ، وحل مكانه اخر » وتنفس الرئيس . اطلقت سراح يده ، فضربني على كتفي مبتهجا وهو يقول : « لقد احسنت الدور » واضطر ان ينهض نصف نهضة ، ليمطي الفرصة لسالم كي يسحب السلاح الرشاش المدفون داخل الضماد حول ساقه . تلقفه الرجل على يده ، وراح يداعبه باصابع خبيرة ، واخرج سالم رشاشا اخر من اسفل الساق الاخرى . كنت قد انهيت انا واميرة فك صدره ، ثم قفز .. واصبح حرا .

وهو يفرك عن جبينه اثار اليود ، فتحنا ظهر الحمالة وبدانا باخراج الفخيرة ، وكانت هناك ثلاث بنادق . ما لبث الرئيس ان اوقفنا : « دعوا كل شيء في مكانه ريثما يحين الوقت » والتفت الى ساعته « لدينا ساعات طويلة نقطعها » . راح سالم يتسم وهو يردد : « خطوة اولى ، خطوة اولى ناجحة » تاملتني اميرة بتقدير وقالت بلهجة فخورة : « ان موسى شجاع ، جريء . كادت تخونني اعصابي عندما نفرت في وجه الجندي وانسل عائدا الى وفنته ، وكسدت انفجر ضحكا على صورة وجهه اليكانيكية ، لكنني استظمت ان اتدارك ذاتي » وكان الرئيس يقول للرجل : « الم يصدفنا احد ونحن نصعد ؟ » « لا احد ، اعتقد ان لا احد » والتفت نحوي . قلت : « المركز خال ! » ابتسم الرئيس بهندسة ابتسامته تعني انه كسب اول ورقة . قال : « اليوم الجمعة ، وهو نهار عطلة ، ولا يوجد سوى مركز الاسعاف الذي في الطابق الاول » . وتوجه صوب النافذة ، وكس الستارة المسدلة التي من قماش الخيم ، وهو يقول : « وفوق هذا ان معظم مراكز الاسعاف اليوم مقفولة ، فقط هنا ،

انا الان في السجن . بعد ان نفذنا العملية مساء يوم الجمعة ، حتى يومين اثنين ، وانا طريح الفراش في المستشفى . اصبت بجرح غائر في ظهري نتيجة لانهيار السقف ، واخترقت رصاصة كتفي الايمن ، ومع ذلك فسعد نجوت من الموت باعجوبة . بعد ان عالجنوني ( شبه تماما ) ، طرحوني بين القضبان ، وبين تارة واخرى ياخذونني الى حجرة « التاديب » ، وهناك ، يشرعون في تعديبي . لقد عالجنوني لهذا السبب ، ليعذبوني .

لن استرسل اليوم في الحديث عن الاستنطاق والمحققين ، ولا عن حالتنا في السجن ، ولن اصف زنزاتي او حالي ، بل سأحاول الاسراع بالقدر الممكن رسم صورة لما جرى معنا يوم التنفيذ ، اي قبل دخولي المستشفى ، لانني اتوقع ان ياتي احدهم .

على الساعة الثانية عشرة ظهرا ، توقفت سيارة الاسعاف امام المركز الصحي . نزلت بمجلة ، وانا اضع على رأسي نبعة امريكية ، وتوجهت صوب جندي الحراسة بطريقة هجومية ليست مباشرة ، وهو ينظر نحوي مأخوذا . فتحت محفظتي عن هوية مزورة ، وانا اقول بالعبرية : « وكيل انضباط سري ، مكلف بحادثة خطيرة » . وصفقت دفتي محفظتي ، ودسستها في جيبى كصاحب الامر وناهيه . عندما التفت ، رايت هناك اميرة في ثوب الممرضة ، وسالم على صدره مئزر ابيض يصل الركبتين ، قد جذب الحمالة . ثم رايت الرئيس - وانا اتقدم لمساعدتهم - مضمدا في كل طرف من جسمه على التقريب ، وقد رفعت قدمه الموميائية البيضاء لكثرة ما التفت ، بالقطن والشاش على حامل . عين واحدة تبرز من وجهه ، وقد عملت اللفائف انتفاخا ضخما في جانبه الايمن وعند فكه ، بينما شوهدت هنا البياض العذري ، لطخات عفوية من مادة اليود والميركروكروم ، ودماء اسودت على صدره .

نقلناه ، واميرة تحافظ على قدمه المعلقة الا تسقط . وعندما صعدت اول درجة ، اقترب مني جندي الحراسة مبالغا اهتمامه : « هل من عون استطيع ان اقدمه لكم يا سيدي ؟ » اجبته بلهجة جافة وسريعة كي الطع فرصة التفكير : « لا ، اذهب مكانك يا جندي ، اذا احتجت اليك بعثت في طلبك » دوما بالعبرية - فلاننا الجندي ، وسارع ليزرع نفسه قرب الباب . ما ان دخلنا للدخل

والمستشفى الوطني ، ومستشفى الجيش في رفيديا .. لقد انطوت عليهم الحيلة . « وهو ينسجم باستمرار : « ظننا الجندي مسن هذه النواحي . احسنت يا موسى ! » .

كان سالم يحتضن السلاح ، واميرة تثبت على رأسها ( ركاب ) المرهضات بشبك من الورد .

جميلة وهي تنفج في ثوب الرحمة ! وكان الرجل قد اقترب من الرئيس ( ثلاث مصفحات ، واحدة كبيرة ، وعشرة من الجنود . بناية السجن في الوجه المقابل . « اردت بدوري ان اشاهد . هناك كاتلة اخرى الى اليسار ، تعمل زاوية مع الطريق ، فاجهت صوبها فثبت طرف الستارة ، ونظرت . الذي قاله صحيح . وكانت بناية السجن قلعة عتيقة ، ترضى تماما في السوجه المقابل على الطريق . بينما البناية التي نحن فيها تدخل بضعة امتار في ارضي ليست مزروعة ، محاطة بسور حجري . لمحت احد الجنود وهو يهبط درجات السجن العريضة حتى وصل قرب من يجلس في جوف المصفحة ، فكان من هذا ان نهض ، وبعد ان نادى على صبي ليحل محله ، سار جنباً مع من اتى في طلبه ، ودخلا من باب صغير في البوابة ذات القضبان الضخمة .

انطلقت عيناى تتسلقان السور ، وعلى ناحية اليمين كان طريق رملي يصعد الى اعلى ، واستطعت ان اشاهد فوق الهضبة الترابية المستنبت الزراعي . سمعت الرئيس يقول : « الرفاق في المستنبت الزراعي لم يأخذوا امكنتهم بعد .« التفتنا نحوه وهو يتقدم الى وسط الحجر . « سيستلقون جبل جرزيم ، ثم يشقون طريقا كالسرا في ( الطور ) ، حيث يقومون بدورة خلفية ، وقبل ان يصلوا المستنبت يكونوا قد جلبوا معهم الاسلحة والذخيرة من غار هناك « اضاف : « ليس هناك خطر كبير لاحتمال المستنبت ، فهو مكان مهمل وغير محروس ، لكن هذا لا يعني ان نضع يدينا في ماء بارد ، فربما حصلت مصاعب . « كانت اميرة تسوي من ياقة ثوب مطرز بالورد الاحمر ، لفلاحة من قرية ( جفنا ) رمته على ذراعها ، فقلت لها وانا ابتسم : « الذي اتمناه ان اشاهدك في ثوب مثل هذا ، ستكونين حقا جميلةة » . راحت تضحك وسالم يقول : « هي في الحقيقة جميلة دوما ، لكن الثوب الذي سيزداد جمالا !! تخضبت وجنتاها والرئيس يقول : « انها تعود للاصل ، في رائحته عرق التربة » . وحل صمت طويل . جلست انا وسالم على الارض ، والرجل فوق المكتب ، واميرة على كرسي ، والرئيس يقف خلف الستار . رآني سالم وانا ادفع كراس مذكراتي في حزامي الداخلي ، وسألني ما هذا ؟ قلت له : « كتاب ساظر بقراءته ( فيما بعد ) ببعض التسلية » بعدها ، سأل سالم : « هل مع احدكم ساعة ؟ « فاجبته : « الواحدة والربع » . قال لي وقد اخذه التفكير :

– تركتها لامي ، فالرد لا يعلم . ( وهو يقصد ساعته )

طوى يده على السلاح الذي في حضنه ، وغاب في صمته . « تركتها لامي » . كانت تصلني انفاسه حارة وقوية ، لكنه بقي غائبا في صمته . ان امه هناك ، وها هو يترك ساعته لاه كي تنصت الى الدقات . واذا ما قتلوه ، ستحدث نفسها وتقول : يا لكم يكذبون ! ان انسي لم يموت ، فهذا انذا استمع الى دقات قلبه ! ويتحول بي التفكير اليها ، فانظر نحوها ، نحو اميرة ، فاراها في شغل عني ! كانت تعلق ايضا هناك ، في الخارج ، كالتورس الباحث عن جناحيه »

هكذا اميرة ، وهكذا انا ، وهكذا الرجل الاخر الذي عرفني باسمه قائلا : « انا الملك فؤاد ! « وضحك بدمابة ، ثم حذف كلمة الملك ، ليصبح له وجه قاس ، كزوت شفتاه ، وقست تعابيره ، ونبر : « ان الملوكة اذا دخلوا قرية اهلكوها .. « مشيرا بيده ناحية الشرق . ما ابث ان ارتخي على معصمي لحجم الوقت ، وتهل ، وارتخت افكاري . لم يبق لي سوى ان انتظر . وكنت اشد شعوري بالانتظار ، كي يخلص . لكنما كان يفاجئني شعور اخر ، شعور من

يقف على عتبة انتظاره ، فتباغته معركة .

كانوا هنا كلهم ، وكانوا مثلي هنا يفكرون كلهم ، احس بانفاسهم تسري في بدني ، احس بشعوري من خلال شعورهم . كنا معا ملتصقين ، مع انه تفصل عنا مجموعة . كنا نحن المجموعة ، وفي ذات الوقت ، كانت المجموعة لا تتعدى شخصا واحدا . كنا ننظر الى السلاح ، وفي عيوننا وردات بكل الالوان . انني اعيش هذه اللحظات وفي ذات الوقت اعيش لحظات التنفيذ ، وفي ذات الوقت اقتف في الحديقة . وابقى انتظر ، انتظر ، ولم تهاجمني رعشة البرد كالعادة .

( اسمع احدهم يقترب ، ساخيه مذكراتي تحت فراش القش ، على ان اعود بمسد قليل ) .

\*\*\*

السبت في 11 تموز 197.

عفوكم يا ازواج النور ! كلماتي التي هي فناديلكم قد انطفت طوال يومين . نعم حجرة « التاديب » ! انهم يرفضون تسميتها حجرة التعذيب . فهذا حسب زعمهم يتنافى مع مجرى « عدالتهم » من اجل ان يكسوا الضباب ، فتشرق شمسها على شعبهم « المختار » ! ولانهم انسانيون بمعيار يتضاعف او يزداد في ضعفه مرات ثلاث عن باقي الانسانيات ، وعلى الخصوص مثلما قال لي ضابط التحقيق : انسانيات الاسم الراقية ! المتقدمة ! وضرب لي مثلا : امريكا ! قال لي : ان انسانية امريكا بالنسبة لانسانيتنا تعتبر دولة متخلفة من عصر الغاب . ولم يصف على هذه الكلمات حرفا .

حقا ، حقا ! انني اعترف لهم ! فمثلا بالامس ما الذي فعلوه ؟ فقط ، قذفوني في برميل ماء شديد السخونة ، حتى استوى لحمي . كان بالامكان اذا لمستني ثلاثة اصابع ناعمة لطفل ان تنزع مني قطعة لحم ، حتى كلمة ( تنزع ) هذه ممكن ان تكون شديدة ، ان تسحب بكل بساطة ، امشاط الاصابع ، وعظم الرسغ والزند ، وبنفضة صغيرة ، يتك لحمي .

ثم عادوا وشدوا لي لحمي ، رموني في ماء فانر ، ثم بارد ، جدا حيث الماء جليد .

وبعدا .. استنطقوني ، السؤال دوما واحد : لماذا انت فدائي؟ ومن هم الفدائيون الذين تعرفهم ؟

اردت ان اجيبهم لماذا انا فدائي ، اقسام بالله العظيم ، ولكن لساني كان تصفه يسقط في حلقي ، ويسد مجرى النفس ، فلم استطع النطق . وبالامس سلطوا تيار الكهرباء على عضوي التناسلي ، اما اليوم فقد فقأوني .

لهذا انا طرح منذ يومين ، وارى انه ليس باستطاعتي اكمال كتابة قصة « عملينا الماضية » . هذه الليلة ، احس بانحطاط ، بل باندهاك ، وقد سقط القلم لمرات ، ووقف قلبي لمرات ، واستندت بلقني على حافة السرير لمرات ، وانعطف علي رفيقي الجديد في الزنزانة ورفعتي لمرات ، وكان لا يجد صعوبة بذلك ، لاني خسرت صحتي وفواي ، وما انا سوى هذه الكتلة من الجلد والعظم النسي في انفها جذوة الشهيق والزفير . لم ازل حيا ، وامننى ان ابقي حيا ، حتى انهي الحديث عن العملية .. لاول مرة طوال اعتقالني ، افكر بطولتي .

الاحد في 12 تموز 197 .

ساروي باقي العملية :

كان الوقت قد حان ، الليل الثري في الخارج ، ونحن في مواقعنا على النافلتين وراء الاسلحة . كنا ننتظر اشارة اليد من المستنبت ، لكن المستنبت ظل قابعا في صمته . اشارة ، شعلة مصباح لمدة نصف لحظة ، نصف نصف لحظة ، وتنطفئ ، فنشغل من فوهات بناقدنا الليل . لكن امرا من هذا لم يحصل ، وصارت الساعة تشير الى الثامنة والنصف وثلاث دقائق ، اما الهجوم

الذين غدروك الى حركة المقاومة في الاردن ، وما عليك سوى ان تتحمل بنفسك عقابهم جميعا .

رفاعي الذين غدروني ! لماذا غدروني رفاقي ؟ ( تركوك تقع بين ايدينا ، وفروا بجلدهم ) . يا رفاقي ، يامن نعدون العدة كي تاتوا .. ابنت لكم من قلبي المشتعل : تحية . انني اسمع الخطوات تقترب ، وصهيل البنادق . انني اسمع خفقات قلوبكم تهتف بي .. لسوف تاتون ، ولسوف احطم خطوات موتي .. لتاني الي خطواتكم ، لاغسل روحي بصهيل بنادفكم . يا ايها الرفاق الطيبون .. احضروا لي معكم عروسة ، احضروا لي معكم حرية .

الاربعاء في ١٥ تموز ١٩٧٠

اليوم لم ياخذوني لحجرة التعذيب ، لكنهم اخذوا رفاقي في الزنزانة . هو واحد من احتلوا المستنبت ليلة النور ! كان قد شرح لي الصعاب التي اعترضتهم اثناء الطريق ، عندما صادقتهم دورية من دوريات الحرب في الجبل ، فاضطروا ان ياخذوا طريقا اخر اكثر طولا واكثر وعورة . وقبل ان يصلوا المستنبت بقليل اعترضتهم دورية اخرى ، فاضطروا للتراجع ، وتسلقوا الاشجار ليختفوا بين اغصانها .

واخيرا ، استقاعوا ان يشقوا طريقهم الي هنا ، ليبدأوا المعركة بدأت ، وقد تمكن الرفاق في الجبس ان ينفذوا نتيجة لدعمهم ، ولزخات رصاصهم التي انهمرت من الخلف . وقال لي رفاقي ، ان الدورية الاخيرة التي صادفوها هي التي حاصرتهم في ظهورهم عند اخر لحظة ، وكانت القوة المرابطة في مركز الحاكم العسكري قد تحركت صوبنا من ناحية القرب ، والقوة التي ترابط قرب معسكر ( بلاطة ) قد تحركت صوبنا من ناحية الشرق ، وعندئذ شدوا حولنا الخناق .

خطوات تقترب لها اصدااء في الرواق الطويل ، ساذهب لاشاهد ، لربما عادوا برفاقي ، اذ هم يستنطقونه في - الحجرة المذكورة - لكنها اصدااء متلاطمة ، اظنهم كثيرين . سألني نظرة خاطفة ..

لقد اتوا ، اربعة جنود ، يجرون رفاقي معهم .

الخميس في ١٦ تموز ١٩٧٠

( اخر الليل )

لطمني الضابط في حجرة التعذيب ، وعاد ولطمني . ولم يكفه ذلك ، قبض عليّ من فامتي وادناوني حتى الحافة الحديدية للطاولة . كدش بقبضته الوحشية شعري ، وراح يدق اذني ، يدق عيني ، يدق صدغي ، حاجبي ، حتى حذر في وجهي شهوته . وعندما افراغ بي غليله ردني الى الورااء فسقطت على العصص ، واحسست كسرا قد جرى . كانت اللطخات تلطم عيني ، فمددت بدا شبحية هزيلة ورحت امسحها لارى . اول ما رايت وجه « الضبع » ، وقد غراه جيشس العرق . قال لي الضابط وهو يهتف :

- ما هذه سوى بداية ، اعنبرها اخر فرصة !

واذا بقبضتين جبارتين انتزعناني من مكاني ، واجبرناني على الوقوف . وكنت أنا قد اوقفت من تمايلي ، لكنسي تقوست ، وارتخيت .

- انها الفرصة الاخيرة !

وسقطت ، لكنني قبل ان اصل الارض ، رفعتني ذراع الجندي الذي يرافقتي ، فنبه الضابط في وجهه : - دعه يسقط دعسه ينسحق !

اظنتني فاذا بي حطام انسحفت في الارض ، تثن في صمتها . كان اتيني لطفه ، يعانق طربا في بطشه ، قبض عليّ من عنقي ، وجرتني . دفعتني على كرسي ، وقيد يدي الاتنين . كهرياء ! لم تكن هذه المرة الاولى . انتفخت اوداجي متوترة ، وراح الضابط يقهقه . كان سميئا ، له شارب طويل ، وعينان ههيجتان . وكان عندما

المخطط له فمن الواجب ان يشن حتى الثامنة والربع ، كماخرحد . ( كان الرفاق في السجن الذين يهدف لتحريرهم ، قد حدثوني فيما بعد ، عما جرى وقتها في الردهات الرطبة التي تكلج بالنور ) . اعطى الرئيس امره لاميرة بتسليم ثوبها ، ومن خلف ظهورنا ، وما هي سوى لحظات قليلة ، حتى انتصبت ما بيننا قروية ساذجة تتللا من بنات الريف ، الذي كان ينفضها الخال والخلخال ، والوشم على الجبين المال . اسرع فؤاد الى حجرة مجاورة ، واحضر لها جرة ماء فارغة . وقبل ان تذهب ، نبهها الرئيس : ( لا ننسي الخروج من الباب الخلفي ) . وانلق الباب .

بعد دقيقتين راينا ظلا ملتفا يقطع الطريق ، ما لبثت ان اوقفته البنادق . كانت الجرة فوق الرأس الوردية كانها برعم ، وكانت اليد التي تضمه تبت في جوعه للحياة نسغ املنا جميعا . وسمعتها في قلبي تقول لهم : انا ذاهبة للعين . ورايت من خلال غيش الليل ، بجانحي ، ايادي تمتد لتصفطها قرب النهدي ، وتلقي بدنسها على وركيها وساقها . ستكون لهم تسلية لم تكن في الحسين ، وسيقتضون بعض الوقت في مداعتها بحجة التفتيش . ستحتمل اميرة ، وستفض على شفتها كي تستمد من صبرها الشجاعة . وفي الاخير ، تركوها تعبر ، فصعدت التلة ، واختفت خلف المستنبت .

في اللحظة ذاتها مزفت انتظارنا والصمت ، شحنة من الرصاص . لم يكن المصدر هو المستنبت ، وانما من داخل السجن ، في الردهات . عندها لم يعد لدينا خيار بين ان ننظر الرفاق في المستنبت كي يبدأوا هجومهم الخلفي ، لنقطع على العدو بدورنا دورته فيكون ساعتها حصاره ، وبين ان ندع العدو يجهز على رفاقنا الذين كسروا قيودهم في الداخل ، ودلسوا اعناق الحراس ، واستولوا على بنادقهم . كانت اللحظة هذه قد قررت عنا البدم في الهجوم ، لنفوت على العدو الفرصة . انصبت رشاشاتنا على مواقعه ، وفجرت قنابلنا المصفحة الكبيرة ، و ... التحمنا .

لحظات .. فاذا بأشباح تنمو وتقفز متسللة من قضبان البوابة الكبيرة . والرئيس يصرخ بنا ان نشدد الهجمة مرددا : « لقد نفذوا ! لقد نفذوا ! » وفجأة ، انتحرت نيران الرفاق من شرفات المستنبت . اصيحت لنا قوة ضاربة ، ووجد العدو نفسه محاصرا ، رغم النسف الذي الحقته الصفحات في بنايتنا . تحطم جناحها الايمن ، ثم جناحها الايسر ، وصرنا نتملق في الهواء . لم تكن نفكر في الموت وقتها ، الذي كان يربض هناك ، الذي كان يلهب عقولنا عشفا ، فقط : الانتصار . وحصل زحف الرفاق الذين في المستنبت ، كانوا ثمانية ، او اكثر ، وكانوا قد فجروا مصفحة ، ورايت عددا من الجنود يسفطون صرعى ، وأنا اطلق باستمرار ، لم اكس اعرف انني على مثل هذه المهارة . ثم انطلقت صيحة مروعة ، وكانها اقتلعت فلذة من اغواري . وهوت الصيحة في الدجى ، واختلطت سالم والحطام . ومع انشدهامي ردتني هذه الصيحات :

- اضرب يا موسى ! اقتلهم !

وماذا انا بفاعل بالله عليك ؟ عدت اعزف على فيثارتني للرفاق انشودة حريتهم ، كنا على وشك ان نهزمهم ، وقد خفت طلقات العدو ، واستكانت ، وصارت على وشك ان تستسلم نهائيا . لكننا وجدنا انفسنا بعد وقت قصير محاصرين من جديد ، وقوة ضاربة راحت تدك مواضعنا ، قتلوا الرئيس ، وقتلوا فؤاد ، وانهار على راسي السقف ، وفقدت وعيي .

الاثنين في ١٣ تموز ١٩٧٠

( على ضوء تحيل تراقص لالسنه النار المتسللة من نافذة الزنزانة )

استطاع اثر الحادثة ان يفر حتى الحدود : عصمت وسبعسة آخرون من الرفاق المعتقلين . قال لي ضابط التحقيق : « انضم رفاقك

## الوردات الجبلية ...

يا ايها الوردات الجبلية ! جرت السرير اسفل راسه ، رفعت  
فدما خاترة وصعدت انتصبت بقدر الامكان ، وبمجهود عظيم رحمت  
الملك الضفدة ، وما هي سوى لقطات حتى سقط جسد الضحية ، وان  
انثا طويلا .

الاربعاء في ٢٢ تموز ١٩٧٠

كان القمر يسبح في السماء ، وكنت اعشق مثل هذه المناس  
الطبيعية . مسحت بصفوه الخصب جروحي ، وتركتها تنساب مع  
مركبه الفضي .. ولطمني فجأة حبي القديم لاميرة . أين هي اميرة؟  
لربما ماتت اميرة ، او هي في زاوية ما مغممة بالليل والصقيع ،  
لربما كانت جارتني في الزنزانة .. بل هي معي في زنزانتني . اميرة  
... حبي القديم ! استدرت برأسي نحو رفيقي ، كان هناك ، يبحث  
عن حب قديم ، ويبدو عليه هو الآخر انه وجده . كان جيلا رغم  
الجروح التي جفت على خديه ، وعلى شفثيه . واخذت جروحه تتحرك  
- في نظراتي - رويدا ، رويدا ، وتدب في فشرتها الميتة حياة  
اخرى فريدة . رأيت يرفع ساقا ويحطهما فوق السرير .. ووجدت  
نفسي اقول له : « انني افكر بالحب ، وانت ؟ » هز لي راسه .  
قلت له « اتدري ؟ اننا اذا احببنا نموت حبا ، لاننا لسم نخلق  
سوى لهذا ، لان نحب » . وهز لي راسه . قلت له : « انني انا  
احببت حبيتي عمرا طويلا ، ولم اقل لها احبك . ان حبنا مستحيل ،  
اليس كذلك ؟ » فهد لي راسه . قلت له مؤكدا : « ان حبنا  
مستحيل ، مستحيل ، لان حبنا ليس كمثل حب ، ولان حبنا  
من عطاء الارض ، ينمو في العروق ، ويرسخ في القلب ، ولا حاجة  
لتقوله الكلمات » . وهز لي راسه . قلت له : « لقد كانت حبيتي  
معي ، حتى اخير لحظة ، وما هي الان معي ، واذا ما افترقنا ، فنحن  
دوما نلتقي ، نلتقي هنا ، بالجوارح ، بالجوارح » . وراحت دمه  
رفيقي تسيل ، فتح فمه في الاخير وقال لي : « لقد احببت ، لقد  
احببت اكثر من مرة ، ولكنني ما احببت مرة وقلت فيها احببك .  
مثلك تماما ، تماما . وفي آخر مرة ، وقبل ان يعقلوني ، جازني  
صوت يقول : احبك ! وكأنه صوت الخبز والوطن ، وكأنه صوت  
الغاس القوي ، منها ، افرغت رصاصي في صدر عدوي » .

باريس

صدر حديثا عن دار الطليعة

في سلسلة « الفكر العربي »

## اللاعقلانية في السياسة

نقد السياسات العربية في المرحلة

ما بعد الناصرية

ياسين الحافظ

السياسة هي فن تحريك الاشياء والبشر . واذا  
تأملنا ضخامة ما لدى العرب من اشياء وبشر ،  
وفي نفس الوقت العجز عن تحريك هذه الاشياء  
وهؤلاء البشر لصالح الامة العربية ، يتضح لدينا  
التأخر الذي يسم السياسات العربية ، تأخر  
تكشف صورته المأساوية والمذهلة اذا تذكرنا قزامة  
العدو الاسرائيلي . وهذا الكتاب محاولة لالتقاء  
الضوء على مأزق السياسة العربية في هذه المرحلة ،  
ولالتقاط بعض تظاهرات التأخر في البنية السياسية  
العربية ، ولوضع بعض صور لرؤية صاحبة على  
الصعيد السياسي .

ولم يترك لي الفرصة على الاعتراف : هذا اذا ما كنت مزمعا ان  
اعترف . لان مغلبه قد خدش على زر قريب ، فسرى بسي تيسار  
مجنون ، ورحت بدوري اصرخ بجنون . نوقف لحظة . ثم سرى التيار  
التلل ، فند عني فحيح ، وغبت عن الوعي . رشات الماء البارد على  
وجهي ، فتحت عينا ، وبقيت الاخرى مغلقة . حاولت ان افتحها ،  
لكنني لم استطع ، اشد ، لم استطع ، تلمستها ، فلذا بي اجد هناك  
كهفا دسما ، هو لطفة او مسحوق ذهني لدن ليزاق اعنى قد  
فغروه . اكتشفت هذه الحقيقة رغم انسي لا احس بلاتسم . وانما  
بهذا الخبر المتوتر : لقد اقلعوا عيني ! ونزت الدمعات النقية في  
كل مكان ترش اللطفة عطفها ، ثم راحت تسيل على خدي صامتة  
ساخنة .

الجمعة في ١٧ تموز ١٩٧٠

عدت الى زنزانتني مع موعد تبديل الحراس ، بعد ان ضم  
لي عيني الخاسرة ممرض فلسطيني . كان يعمل هنا قبل الاحتلال  
بسنوات ، وكنت بحراسة احدهم ، لذلك لم تتبادل الحديث ، لم  
ننطق بكلمة واحدة . لكنني كنت ارى بعيني الوحيدة ، تقاضيع هذا  
الوجه المسحق الذي تحصد سيماء التيار . وكنت اسمع حركة  
المقص الحائقة ، والتي لا تدل على عمل دقيق ومنظم لرجل مارس  
مهنة التمريض مدة من الزمن . احسست في اصابعه على وجهي مدا  
وجزرا للرعشات ، وانا افكر : يحترق علي .. المسكين ! وانا ادخل  
زنزانتني ، كان حارس قد تقدم مني محلرا وهو يقول : « انه معلق  
حتى الصباح » . ولاس انفي وفمصه . « اياك ثم اياك ان يراودك  
التفكير في فكه » . كانت عيني الوحيدة قد جحظت ، وانفجرت ، وانتشرت  
في الهواء كالحراشف . بعدما اوعد الباب ، تقدمت من رفيقي ،  
كانوا قد علقوه في السقف من قدميه ، وقد مزق سوط مجرم لحم  
الكتفين ، والظهر وحفر هناك حروقا ، جف بعضها وعمل فشرة دموية ،  
تتوتر على بعضها كالديدان . اقتربت منه اكثر ما يكون ، ونظرت في  
عينيه ، كانتا مفتوحتين ، وكان يحرق في رعبه . همست له من  
سناجتي : « هل عذبوك ؟ » لكنه لم يجبني ، فرقص في صدري  
ابليس . ورحت احرق بعيني الوحيدة ، وانا لا اكاد اصدق . ان  
كل الذي جرى لي لم يكن على مثل هذه الصورة ، تكفي هذه النظرة  
المهولة لعينين انسانيين مغممتين بالصراخ ، والسوت . فكرت :  
مقتول ! الصقت الذي على قلبه ، فسمعته يدق دقا رثيبا . قلت مطمئنا  
نفسى : لم يزل يعيش ! مددت اصابعي الى عينيه واقفلتهما . جلست  
على قدم السرير ، ورحت ارنو نحوه .

كم هي الحياة لعينة ! ان حياة هذا الرجل نمينة ، والا تراهم  
لسلذا يريدون سلبها ؟ ورحت استمع الى نبضات قلبه الضعيفة وانا  
المكر : سيهوت قبل الاوان . لا .. ان انهم يظفرون بحياة مثل هذه ،  
من ادعهم . بقيت زمنا طويلا اخاطب نفسي في الليل ، وعلى مرمي  
ليس بالعبيد خطوات الحارس التي تروح ولا تلبث ان تاتي . يجب  
ان احفظ له حياته ، ان احفظها له . رفعت رأسي الى فوق ،  
واستطمت بنصف النظر الذي تركوه لي نصف سليم ، ان ارى الملق  
الحديدي الذي بالسقف ، معلق حديدي كأنه معلق الجزائر . لقد  
حسبه نعمة ، وما هم قد سلخوه نصف سلخ ، والباطي اجلوه الى  
وقت اخر ، عندما يجلبخون سيكاكينهم من جديد ! نهضت من مكاني ،  
ورحت احموم من حواله . قاوم ! قاومهم ! يجب ان تعود له حياته ،  
لان في هذا معنى واحدا ، ان يزهيمهم متى استردها . ان يقهرهم ، ان  
يعول نصل السكين الى اعناقهم ، وبحركة من اصابع النور ، سيحز  
النصل فوق الحنجرة تماما ، فيتنبع امه . لانه لا امل له بعد اليوم  
سوى ان يعيد الامل بالطريقة ذاتها . اه ! يا آمالنا العظام ، يا جبالنا  
الراسخة التي نستعم الان في برك الدم ! ايها الوردات الجبلية ،  
يا اغراس اهلي ! لا تعزني ايها الوردات ، انني هنا من اجلك ،  
من اجل عشق في عيونني نحوك . انني هنا لاحقق امالك . ايها